جامعة الإمارات العربية المتحدة
UNITED ARAB EMIRATES UNIVERSITY

مجلة كلية الآداب

في هذا العدد

العدد الأول ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م

مجلة

كلية الآداب

العدد الأول 1405 هـ 1985 م

الفهـرس

من قواعد النشر في مجلة كلية الآداب

★ تقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية، على أن لا يزيد حجم البحث عن (٣٠) ثلاثين صفحة من القطع العادي (١٢,٠٠٠ كلمة).

★ ينبغي أن يراعى في البحث ما يلي:

● اتباع الأصول العلمية من حيث الإحاطة، والاستقصاء، وأسلوب البحث العلمي وخطواته، والأمانة فيه، والتوفيق والهوامش، والمصادر، والمراجع ... إلى غير ذلك من الأصول المرعية في البحوث الأكاديمية.

● ألاّ يكون البحث قد سبق نشره.

● يستهل البحث بموجز في حدود (٢٠٠) كلمة باللغة المقدم بها؛ وآخر في حدود (١٥٠٠) كلمة باللغة الإنجليزية، أو باللغة العربية إن كان البحث محرراً بلغة أجنبية.

● تزوّد أسرة تحرير المجلة بثلاث نسخ من البحث، مرقومة على الآلة الكاتبة.

● أن يراعى في البحوث المتعلقة بالقضايا التراثية الضبط بالشكل، والدقة في الكتابة.

● أن تكون الهوامش والمصادر والمراجع في آخر البحث.

● يمنح كل باحث ينشر بحثه في مجلة كلية الآداب، مكافأة مالية رمزية تقدرها أسرة التحرير، بالإضافة إلى عشرين فصلة (مستلة) من بحثه المنشور.

● ما ينشر في المجلة يعبر عن وجهة نظر صاحبه، ولا يعبّر بالضرورة عن وجهة نظر أسرة التحرير.

● توجه البحوث إلى أمين تحرير مجلة كلية الآداب. كلية الآداب. جامعة الإمارات العربية المتحدة.

ص.ب: ١٥٥٥١ ـ العين ـ الإمارات العربية المتحدة.

اسرة التحرير

الاستاذ الدكتور يوسف عز الدين — رئيس التحرير
عميد كلية الآداب

الاستاذ الدكتور عدنان محمد زرزور
رئيس قسم الدراسات الاسلامية

الدكتور عباس احمد محمد
رئيس قسم الاجتماع

الدكتور محمد ابراهيم حور — أمين التحرير
رئيس قسم اللغة العربية

الدكتور صالح أبو اصبع
مدرس بقسم الاعلام

الدكتور محمد المطوع
مدرس بقسم الاجتماع

الامل الجديد

في المسيرة الحديثة

هذا هو العدد الاول من مجلة كلية الآداب باكورة عملها العلمي فيها مقالات هيئة التدريس آملين ان تسهم في بناء الفكر العلمي والتراث الجامعي المعاصر ، رائدها خدمة البحث المفيد وبناء صرح التطور الجامعي وانشاء اسس جديدة للدراسات العلمية الجادة ، وخدمة الفكر الاسلامي والتراث العربي .

ان البحث العلمي الجاد ركيزة من ركائز تقدم حضارة الامم وتطور حياتها الفكرية والاجتماعية والعلمية ، ومتى كان البحث العلمي دقيقا ورسخت تقاليده وتعمقت جذوره فسوف تستوي على سوقها ويصبح البحث العلمي من وسائل التطور العلمي والحضاري للامة ، لان الاسس العلمية العميقة ستدفع مسيرة الدراسة الجامعية إلى الاصالة والابداع .

واتمنى ان تكون هذه المجلة خير اداة لنشر البحوث الاصيلة والدراسات الجامعية المبدعة باساليب علمية متطورة . آملا ان يحث صدورها الزملاء على اثراء البحث الجاد والدراسة العميقة والتحقيق الاصيل والابداع الفكري والاستنتاج المتجرد الصادق لنشر بحوثهم ودراساتهم .

ان وجود هذه المجلة فرصة للزملاء أصحاب القابليات العلمية المتميزة لنشر بحوثهم وتحقيق تراث الفكر الاسلامي ومواكبة البحث العلمي وتكامل الدراسة الجامعية ، وحفز الباحث الاصيل على الاستمرار في العمل والاصالة والجدة في الانتاج .

وقد كانت الكلية بحاجة ما سة لتدعيم هذا الجانب العلمي الجامعي لان البحوث العلمية اهم مظاهر الانتاج الجامعي ولن يعرف جهود الباحث او نشاط الكلية او فكر الجامعة الا بالمجلة العلمية التي تنشر بحوث العاملين فيها .

وقد احسنت الجامعة صنعا عندما خصصت لكل كلية من الكليات مجلة لنشر بحوث الباحثين بعد ان كانت تصدر مجلة واحدة للجامعة كلها .

وعسى ان تكون البحوث المنشورة في هذا العدد لبنة في خدمة الفكر العربي والتراث الاسلامي في هذا الجزء من الوطن العربي وقاعدة لتطوير البحث العلمي وصلة عملية تربط هذه الجامعة مع الجامعات العربية وان تكون وجها من وجوه المعرفة لكلية فتية في جامعة شابة ناشئة يحدوها الامل ويبعث فيها الطموح لمسايرة ركب البحث العلمي مع شقيقاتها في الوطن العربي .

واتمنى ان تكون هذه الباكورة احدى بواكير العمل الجامعي الجاد والبحث العلمي المتطور .

ولا يمكن الادعاء بانها وصلت إلى ما تطمح اليه اسرة التحرير من ابداع في كل المقالات وامتياز في كل الاراء واستنباط للحقائق العلمية والوصول إلى نتائج كبيرة في البحوث ولكنها تعطي صورة من صور البحث العلمي لاعضاء هيئة التدريس في الكلية .

ارجو ان تكون حافزا للزملاء الاخرين للاسهام في بحوث تكمل ما نقص في العدد الاول .

وهي جهد بذلت اللجنة طاقتها في اخراجه وسعت لتكون مرحلة متقدمة من مراحل البحث والنشر للزملاء الذين لم تسعفهم الظروف في نشر بحوثهم في مجلات علمية في الوطن العربي . والكمال لله تعالى ومنه نستمد التوفيق والعون .

ا . د . يوسف عز الدين

رئيس التحرير عميد كلية الآداب

مجلة كلية الآداب - جامعة الامارات - العدد الأول ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص: ٢٠٣-٢٢٦

الحركة الأباضية في عمان

وعلاقاتها السياسية مع الدولة العباسية حتى سقوط الامامة الثانية

الدكتور محمد أرشيد العقيلي

مدرس التاريخ الاسلامي
في جامعة الامارات العربية المتحدة

مقدمة

استجاب اهل عمان لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام التي حملها عمرو بن العاص إلى إبني الجلندي يدعوهما إلى الاسلام عن رغبة وطواعية وقناعة تامة، ومن غير قتال، ويروى ان الرسول ﷺ ابتهل إلى أهل عمان قائلاً: «اللهم أرحم اهل غبيراء آمنوا بي ولم يروني» وقد انتشر الاسلام بعدها في عمان بسهولة، ويسر وعمرو بن العاص يقيم بين اهلها.

وبعد أن تأكدت سيادة الاسلام على الجزيرة العربية بصفة عامة في اعقاب حركة الردة، فإن القائد المسلم عرفجة البارقي رجع من عمان يحمل إلى الخليفة ابي بكر الصديق خمس الأموال، في حين سمح لأهل عمان توزيع زكاة اموالهم على الفقراء والمساكين في عمان نفسها، بدلاً من ارسالها إلى بيت المال في المدينة المنورة، وأما القائد المسلم حذيفة بن المحصن فقد بقي في عمان ليشارك جيفر وعباد، أولاد الجنلدي في إقرار الأمور[1]. غير ان حذيفة اعفى من مهنته في خلافة عمر بن الخطاب، واصبحت ولاية عمان خالصة إلى أولاد الجلندي.

وقد شارك اهل عمان في الفتوحات الاسلامية في بلاد الشام، والجبهة الشرقية في مناطق شرق الخليج، وبلاد فارس وخرسان. وبرز منهم قادة عظام أمثال المهلب بن ابي صفرة وابنائه من بعده، كان لهم جميعا دور بارز في نشر الاسلام.

تمتعت عمان بنوع من الاستقلال المحلي طيلة العهد الراشدي. ومن الطبيعي ان ذلك لا ينفي عن عمان صفة الولاء والطاعة للحكومة المركزية في المدينة المنورة.

بيد أن الأمر إختلف كلياً عشية إسدال الستار على الفتنة الاولى بين المسلمين، بانتقال الحكم إلى معاوية بن ابي سفيان، رأس الدولة الاموية، إذ رفض العمانيون الاعتراف بخلافة معاوية واكدوا استقلالهم، فلم يرسلوا الزكاة إلى بيت المال[2]. وإنما استمروا بجمعها ودفعها إلى فقراء ومساكين عمان. ومن ناحية اخرى، فإن معاوية هو الآخر لم يتمكن من فرض سلطته على عمان[3]. وقد استمر هذا الوضع حتى خلافة عبدالملك بن مروان. ولعل من ابرز الاسباب التي حالت دون تمكن الدولة الاموية في هذه الحقبة من فرض سيادتها على عمان، عو بعدها عن مركز الخلافة في دمشق. فضلاً عن طبيعة

عمان الجبلية، وصعوبة المواصلات إليها. غير ان العامل الأكثر اهمية هو عنف الثورات والحركات المناهضة للحكم الاموى في العراق ومنطقة الخليج، كحركات الخوارج والشيعة، وثورة ابن الزبير، شكلت جميعها حاجزاً بين الدولة الاموية وبين عمان[4]. غير ان الخوارج النجدات بزعامة نجدة بن عامر الحنفي حين بسطوا نفوذهم على شرق الجزيرة العربية، واقليم البحرين سارعوا إلى مد نفوذهم إلى عمان، بارسالهم جيشاً اليها بقيادة عطية بن الأسود الحنفي. فاستولى علهيا عطية وقتل حاكمها عباد الجلندي، وأقام بها شهراً، ثم اناب عنه حين مغادرتها، أبا القاسم. غير ان العمانيين مالبثوا أن ثاروا على ابي القاسم وقتلوه[5]. واعادوا الى الحكم آل الجلندي. كما صدوا محاولة اخرى للاستيلاء على عمان من قبل عطية مما يؤكد رفض اهل عمان لمابدىء الخوارج المتطرفة كالازراقة والنجدات.

وحين قضي على حكم ابن الزبير في العراق والحجاز، فإن عبدالملك بن مروان استعمل الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق، واصبحت عمان جزءاً من ولاية العراق. غير أن سيادة الدولة الاموية لم تتجاوز السواحل ومنطقة صحار. إذ تحصن ازد عمان بالداخل بزعامة سعيد وسلمان إبني عباد بن الجلندي، واعلنوا الثورة على الحكم الاموي. وقد حدا ذلك بالحجاج إلى السرعة في رفض سيادة السلطة على هذا الجزء الهام من الدولة الاسلامية. فبادر بارسال عدة حملات متوالية على عمان[6]. وقد اقضت مضاجع الجيوش الاموية قبل ان تتمكن من فرض سيادتها على هذا القطر. فالحملة التي ارسلت بقيادة القاسم بن شعوه المزني بحراً الى عمان، دحرت على يد ثوار الازد وقتل القائد نفسه[7]. غر ان الحجاج تمكن من دخولها في النهاية على يداحد قادته وهو مجاعة بن شعوه المزني، ونكل بأهل عمان. وفر على إثر ذلك سعيد وسلمان إبنا الجلندي إلى بلادالزنج في افريقيا. وقد توالى على عمان عدد من ولاة الدولة الاموية، إلى ان عين عليها زياد بن المهلب بن ابي صفرة. وظل والياً عليها حتى زال حكم بن امية[8].

ويبدو ان أهل عمان كانت قد استهوتهم في تلك الفترة وما تلاها مبادىء الاباضية التي نقلها ابو بلال مرداس بن ادية التميمي إلى عمان. ولا أدل على ذلك من أن عمران بن حطان بعد فشل ثورته[9] توجه عام ٧٥هـ، بعد أن أطلق الحجاج سراحه من البصرة الى عمان، فوجد أزد عمان يعظمون ابا بلال مرداس ويعتنقون افكاره التي نادى بها[10].

وتجدر الاشارة هنا ان الصلة كانت في البداية وثيقة بين عمان والمدينة المنورة. ولكن بعد تمصير البصرة، أخذ أهل عمان يرتبطون بالبصرة، وتعمقت صلاتهم بها. فهاجرت أعداد غفيرة من أزد عمان واستقرت بالبصرة، فتشربت آراء وافكار الحركة الاباضية

من البصرة إلى عمان تارة، وعبر نشاط الاباضية في مواسم الحج تارة اخرى. وبذلك فإن جابر بن زيد الازدي حين نفى من قبل الحجاج إلى عمان(١١) وجد ان الافكار الاباضية كانت قد سبقته إلى عمان، مما هيأ له ان يعمق نشاطه في نشر المذهب الاباضي بين قبايل الأزد من أهله. ومنذ ذلك توثقت الصلة بين الحركة الاباضية وبين ازد عمان. حتى أن هذه الحركة كما يرى فاروق عمر(١٢) حرصت منذ البداية ان تظهر بمظهر المعبر عن آمال وحاجات اهل عمان، بمعنى أن الاباضية استجابت لحاجات المجتمع المحلي العماني المعادي للسيطرة المركزية. والغاضب على سياسة الأمويين. كما وأن الاباضية استندت على قاعدة من اهل عمان، ولهذا لم تظهر بمظهر المحتل الغاصب لأهل عمان.

ويستفاد مما أورده العوتبي(١٣) أن الدعوة الأباضية في عمان أفرزت على يد جابر بن زيد عدداً كبيراً من الاتباع والمعتنقين لافكار الاباضية كان في مقدمتهم المختار بن عوف الازدي الملقب بابي حمزة الشاري، وابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة، وهو من موالي بني تميم. ويبدو ان جابر بن زيد بعد ان تمكن من العودة من منفاه في عمان إلى البصرة فيما بعد، انتهج تكتيكا في غاية السرية في تنظيم الدعوة الاباضية، فأقلع عن محاورة المخالفين له علنا حتى لا يتعرض هو واتباعه إلى تصفية جسدية من قبل ولاة السلطة الأموية.

وعلى الأرجح ان الدعوة الأباضية قطعت شوطاً بعيداً في التنظيم السري وذلك بتخريج الدعاة، واستقطاب المؤيدين، حين تولى أمر الدعوة في البصرة ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة، بعد وفاة جابر بن زيد عام ٩٣هـ. وبذلك فإن الدعوة الأباضية صارت تقترب من تحقيق أهدافها باعلان إمامة الظهور.

ويأتي في مقدمة العوامل التي ساعدت على السرعة في نجاح الدعوة الأباضية في عمان بالذات، أن معظم الدعاة من حملة العلم الذين دربوا في البصرة على اساليب الدعوة، كانوا من الأزد. ولذلك فإنهم حين عودتهم إلى عمان وجدوا تأييداً لدعوتهم من قبائل الازد فيها(١٤) وهناك عامل هام يتمثل باعتناق بعض الاشخاص من آل الجلندي مبادىء الأباضية، انعكس ايجابياً على سرعة نجاح الدعوة. وينبغي أن لا يغيب عنا عامل في غاية الأهمية كما يذكر السالمي(١٥) وهو أن الولاة الذين تعاقبوا على حكم عمان منذ مطلع القرن الثاني الهجري، كانوا من الازد. فاتيحت الفرصة للدعاة ان يبثوا افكارهم بحرية ويسر، دون ان يتعرض لهم الولاة بأذى، خشية غضب ونقمة اقاربهم من الازديين.

الحقيقة إن المتتبع لمنهج الدعوة الأباضية في البصرة، والخط الذي سلكه دعاتها لبث افكارهم، يجد ان نشاط الدعوة لم يتقصر على عمان وحدها بل أن الدعاة (حملة

العلم) بعد ان استوعبوا مبادىء وتعاليم الدعوة الأباضية، ارسلوا إلى حضرموت واليمن وشمال افريقيا. وكان موسم الحج فرصة ممتازة للقاء قيادات الدعوة، وتبادل المعلومات.

ولعل الظروف القاسية وسياسة العنف التي أحاطت بالدعوة في البصرة خلال ولاية يوسف بن عمر الثقفي، والي الخليفة الاموي هشام بن عبدالملك على العراق، هي التي املت على الدعوة الاباضية برئاسة ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة، أن تفكر في استراتيجية جديدة للدعوة، للخروج بها من حالة الحصار والرقابة إلى حيز اوسع بعيد عن عيون السلطة واضطهادها كي تتمكن من ممارسة فعالياتها بحرية ونجاح والانتقال بها من دور السرية والكتمان إلى دور الجهر، تمهيداً لاعلان الإمامة الاباضية.

وبالفعل فإن إختيار اقطار كحضرموت واليمن والمغرب، بالإضافة إلى عمان، جعل الدعوة الأباضية تشق طريها وتنشر افكارها بحرية ويسر. ومما ساعد على ذلك، بعد هذه الأقاليم عن مراكز الخلافة، ومرور الدولة الأموية بمآزق صعبة منذ خلافة الوليد بن يزيد بن عبدالملك إلى ان زال الحكم الأموي في دمشق. تتمثل هذه المآزق بالفتن الداخلية، وقيام الثورة العباسية. كل ذلك املى على ابي عبيدة، رئيس الدعوة في البصرة ان ينتهز الفرصة، ويتعجل التنسيق مع رئيس الدعوة الاباضية في حضرموت، عبدالله بن يحيى الكندي، الملقب بطالب الحق سنة ١٢٩هـ لاعلان الثورة على الحكم الأموي في حضرموت واليمن. وتذكر المصادر ان تعليمات صدرت من رئاسة الدعوة في البصرة إلى أباضية عمان للتعاون مع اباضية حضرموت واليمن. وأنه تبعاً لذلك، فإن الجلندي بن مسعود، راس الحركة الأباضية في عمان اشترك في بيعة طالب الحق بالخلافة[١٦] حين اعلن ثورته في حضرموت واليمن. كما أن أحد قادة طالب الحق وهو ابو حمزة الشاري الازدي العماني تحرك عام ١٢٩ للاستيلاء على الحجاز. وبالفعل تمكن جيش الاباضية من دخول مكة، ثم استولى على الطائف والمدينة[١٧]. غير ان مروان الثاني سارع إلى ارسال جيش اموي كبير لمواجهة الأباضية وتمكن هذا الجيش من استعادة المدينة، ودحر جيش الأباضية في معركة شرسة عام ١٣٠هـ، قتل فيها ابو حمزة الشاري، وعدد كبير من أتباع الحركة الأباضية[١٨] غير ان طالب الحق لم ينم على هذه الهزيمة، فقد سارع على رأس جيش كبير والتقى بالجيش الأموي في معركة حاسمة قرب مكة، قتل فيها طالب الحق نفسه وعدد كبير من اتباعه. وبذلك تمكن الامويون من القضاء على دولة طالب الحق الأباضية عام ١٣٢هـ. وقد حتم هذا الوضع على اتباع الأباضية في حضرموت واليمن الرجوع بالدعوة إلى دور السرية والكتمان. وإلى توجيه الدعاة انظارهم صوب عمان.

الإمامة الأباضية في عمان في مستهل الحكم العباسي

لعل من بين الأسباب التي عجلت في استجابة اهل عمان للدعوة، المستوى الفكري الرفيع الذي تتمتع به جابر بن زيد، فضلا عن الرابطة القبلية الازدية التي تربط جابر ببني قومه من أزد عمان[١٩] ثم الدور الذي لعبه ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة في ترسيخ اقدام الدعوة بشكل علمي مدروس من خلال اختيار الدعاة من قبائل الازد العمانية نفسها[٢٠]، وممن تتوافر فيهم الكفايات الفكرية، والدرايات الادارية والسياسية، والمهارة في استقطاب الناس إلى صفوف الدعوة. وقد تردد العديد من الاسماء من ابرزهم: محمد بن المعلا، الربيع بن حبيب بن عمرو الفرهودي، موسى بن ابي جابر الازكوي.

بالاضافة إلى ما سبق هناك عدة عوامل تقف وراء سرعة إنتشار الدعوة الأباضية في عمان منها: اعتدال مبادىء الدعوة نفسها، ورفضها آراء الخوارج الأزارقة والنجدات والصفرية، مما جعل الدعوة مقبولة ومستساغة لدى الوسط الاسلامي في عمان. وهناك عامل يتصل بالسياسة العادلة، والبعيدة عن التعسف التي طبقها الخليفة عمر بن عبدالعزيز. فقد وقف واليه على عمان عبدالعزيز الانصاري موقفاً مسالماً من الدعوة الأباضية، وبعد ذلك فإن هذا الوالي تنازل عن ولاية عمان إلى زياد بن المهلب بن ابي صفرة، الذي حكم عمان حتى سقوط الدولة الأموية[٢١]. وقد ترك هذا الوالي الدعوة الأباضية طليقة في نشر افكارها، لأنه بالاصل ازدي من عمان. ويجب عن لا يغيب عن الاذهان عامل هام، وهو اعتناق آل الجلندي لمبادىء الأباضية، قبيل قيام الدولة العباسية مما اتاح للدعوة ان تنتشر في معظم انحاء عمان. وحتى بعد قيام الدولة العباسية فإن مما ساعد على سرعة انتشار الدعوة تعيين السفاح جناح بن عبادة بن قيس الهنائي فأعان الأباضية، ثم عين المنصور محله ابنه محمد بن جناح، الذي مال بدوره إلى الأباضية، ومهد السبيل لإقامة الإمامة الاباضية في عمان عام ١٣٤هـ.

يستنتج مما سبق أن تربة الدعوة الأباضية في عمان اصبحت خصبة في نهاية العهد الأموي، وقد ترسخ في اذهان رئاسة الدعوة في البصرة، وفي اذهان الدعاة في عمان ان الدعوة تقف على ارض صلبة. وأن مسألة الاعلان عن إمامة الظهور في عمان ما هي إلا

مسألة وقت، ومسألة اختيار الظرف المناسب. خاصة وان عمان تتمتع بخصائص خارجية وداخلية فريدة. فهي باشرافها على الخليج العربي، وبحر العرب تتحكم بالمعابر البحرية والتجارية التي تربط جنوب شرق آسيا بالهلال الخصب وبلاد الشام مما يعطيها قابلية للاستقلال والاعتماد على نفسها اقتصاديا. فضلاً عما تتمتع به في الداخل من تنوع في انماط التضاريس، ابتداء من الشريط الساحلي المطل على الخليج العربي، ومروراً بالصحراء الرملية المجدبة التي تحيط بعمان من الشمال إلى الجنوب. ثم انتهاءً بالجبال الخصبة[٢٢] الممتدة وسط عمان وعلى اطرافها. كل ذلك يعطي الحركة الأباضية حرية الحركة، والانسحاب إلى الصحراء والجبال للاحتماء بها في حالة شن غارات من قبل اعداء الدعوة.

وقد اعطيت الفرصة لرئاسة الدعوة في البصرة لإعلان إمامة الظهور في اعقاب فشل ثورة طالب الحق في حضرموت. وقد تمثل ذلك في فترة الفراغ السياسي التي نتجت عن انشغال السلطة الاموية بحركات المعارضة التي انهكت قواها من جهة، وعن سقوط هذا الحكم بيد العباسيين عام ١٣٢هـ، الذين هم بدورهم شغلوا في مرحلة التأسيس بتوطيد اركان الدولة. ولم يلتفوا إلى ما كان يجري في المناطق النائية البعيدة عن مركز الدولة من جهة اخرى. وبالفعل فإن الأباضية في عمان اعلنوا مبايعتهم للجلندي بن مسعود كأول إمام ظهور. وطلبوا من بقية المسلمين مبايعة الجلندي كإمام للمسلمين[٢٣].

موقف الدولة العباسية من الإمامة الإباضية

إن نقطة الجدل في هذه الدراسة هي موقف الحركة الأباضية من الدولة العباسية في عصرها الاول. وموقف الدولة العباسية من هذه الحركة وهي في بداية نشأتها.

المتتبع لدراسة الدعوة العباسية، والدعوة الأباضية يجد العديد من نقاط الاتفاق، ونقاط الافتراق بين الدعوتين. فمن حيث الأهداف نجد أن الدعوتين تسعيان للوصول إلى مركز قيادة المسلمين لتطبيق شرع الله سبحانه وتعالى، من خلال تقويض دعائم الحكم الاموي.

فالأباضيون يرون انفسهم الممثلين الحقيقين للأمة الإسلامية. وأن الامام يجب ان يختار من قبل الأمة إختياراً حر بعيداً عن اعتبارات الأصل او القبيلة أو الجنس. وأن الأمة تحتفظ لنفسها بحق عزل الامام إذا أخل بشروط العقد بينه وبين الجماعة[٢٤]. في حين رأي الامويون ان الخلافة يجب ان تكون في قريش، ثم مالبثوا أن جعلوها وراثية محصورة في البيت الأموي من قريش. وأما الشيعة فقالوا ان الأمامة منصوص عليها من الله في الكتاب والسنة، ولا دخل للامة فيها. ويجب أن تحصر بنظرهم في ابناء على من زوجته فاطمة. إلا أنهم إنقسموا فيما بعد إلى فرق شتى اشتط بعضها في آرائه حتى دخل دائرة الغلو.

وأما الدعوة العباسية فرأت هي الأخرى أن الخلافة يجب ان تكون في قريش، ولكن في بيت العباس عم الرسول عليه السلام، ثم مالبثوا بعد قيام الدولة العباسية أن جعلوها وراثية في هذا البيت.

وعملت هذه الحركات المناوئة للحكم الاموي كل على شاكلتها وطريقتها الخاصة للاطاحة بالحكم الأموي في سبيل الوصول للحكم. غير اننا نجد أن هناك تشابهاً واضحاً بين الدعوة الاباضية، والدعوة العباسية في اسلوب الدعوة وإعداد الدعاة، والتنظيمات السرية الدقيقة حتى خفي أمر الدعوتان معاً على عيون السلطة الأموية. وكانت كلتا الدعوتان في سباق مع الزمن لإعلان الامامة او الخلافة. ورغم ان الأباضية كانت اسبق في اعلان الإمامة في حضرموت عام ١٢٩هـ، إلا ان الحيز الجغرافي الذي شغلته الدعوة العباسية كان اوسع مدى من الحيز الجغرافي للدعوة الأباضية. كما أن استقطاب

المعارضة للحكم الاموي الذي حازت عليه الدعوة العباسية كان يمثل ثقلاً سكانيا وثقلا سياسياً اكبر بكثير من الذي حازت عليه الدعوة الأباضية.

ومهما يكن الأمر فإن الدعوة العباسية نجحت عام ١٣٢هـ في اسقاط الحكم الاموي، واتخذت من العراق حاضرة للعالم الاسلامي. وقد تزامن ذلك مع الاعلان في عمان عن قيام إمامة الظهور برئاسة الجلندي. وهذا يعني أن الأباضية اعتبرت نفسها الممثل الشرعي للإمامة في العالم الاسلامي[٢٥]، في نفس الوقت الذي اعتبرت فيه الخلافة العباسية نفسها وريثة للدولة الأموية، والممثلة الشرعية للخلافة الاسلامية في العالم الاسلامي.

وبذلك يتضح أن هناك تصادما كبيراً بين طموحات الأسرة العباسية التي تهدف إلى حكم العالم الاسلامي برمته، وبين طموحات الامامة الاباضية التي كانت تهدف بدورها ان تمد نفوذها أولاً بأول من المناطق المجاورة لعمان إلى كافة اقطار العالم الاسلامي، ولا ادل على ذلك من أن الدعوة الأباضية نجحت بعد قليل من استقطاب الجماهير الاسلامية في المغرب الافريقي، وانتخب هناك ابو الخطاب إماما سنة ١٤٠هـ. وبعد ذلك باربع سنين اسس عبدالرحمن رستم حكماً اباضيا في تاهرت[٢٦]. وكان التنسيق مستمراً بين أباضية المشرق واباضية المغرب.

ولعل التصادم بين طموحات الفريقين العباسي والاباضي، هو الذي حفز السلطة العباسية كما يذكر الطبري[٢٧] للاسراع بتطويق خطر الامامة الاباضية والقضاء عليها. وقد سوغت السلطة العباسية ذلك لنفسها باعتبارها الحركة الأباضية ثورة خارجة على سلطة الدولة المركزية لابد من ارجاعها إلى سيادة الخلافة العباسية. وينبغي أن لا ننسى أن هناك عاملاً آخراً كانت السلطة العباسية تضعه في حسابها، وهو ان عمان تتحكم في الفعاليات التجارية لسيطرتها على المعابر المائية، مما يشل اقتصاديات الدولة العباسية فلابد إذن من السرعة في فرض سيادة الخلافة العباسية على هذا الاقليم.

حملة خازم بن خزيمة على عمان

شغلت الدولة العباسية اول سنتين من قيامها باحكام قبضتها، وتأكيد سلطتها على بلاد الشام والعراق، وكان الخليفة العباسي الاول السفاح قد ولى اخاه المنصور على العراق. فأستعمل المصنور جناح بن عبادة بن عبد القيس الهنائي على عمان، ثم عزله، وعين مكانه محمد بن جناح. ويذكر الازكوي[٢٨] أنه داهن الأباضية حتى صارت ولاية عمان لهم، فعقدت الامامة للجلندي بن مسعود، فكان ذلك سبباً لقوة المذهب.

سارعت الدولة العباسية الى إرسال حملة عسكرية بحرية عام ١٣٤هـ بقيادة خازم بن خزيمة التميمي لضرب الخوارج الصفرية الذين تجمعوا في جزيرة ابن كاوان بقيادة شيبان بن عبدالعزيز اليشكري. ثم بعدها لتواصل الحملة سيرها لضرب الحركة الأباضية في عمان. وقد تمكن خازم من تفريق صفوف الصفرية بعد معارك ضارية. فأضطروا ان يهربوا على ظهر سفنهم إلى منطقة جلفار الواقعة شمال شرق عمان[٢٩]. غير ان الجلندي رفض أن يدخلوا بلاده مالم يعتنقوا المذهب الأباضي. فرفضوا ذلك. فأضطر الأباضيون لمقاتلتهم بقيادة يحيى بن نجيح في معركة جلفار عام ١٣٤هـ. وكان وضعهم في غاية الخطورة نظراً لأنهم اصبحوا بين خصمين، الأباضية في عمان، وخازم بن خزيمة في جزيرة ابن كاوان في البحرين. وقد اسفرت المعركة عن قتل قائد الخوارج الصفرية واسدال الستار على حركتهم. غير ان القائد الأباضي قتل هو الآخر في هذه المعركة.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الحركة الأباضية ليس لها علاقات بفرق الخوارج المتطرفة، وأنها اختطفت لنفسها خطاً مستقلا بعيد عن الخوارج في اعقاب النهروان، وقيام الدولة الاموية.

معركة جلفار الثانية بين الأباضية والعباسيين

كان خازم يراقب الحرب بين الأباضية والصفرية، وينتظر عما تسفر عنه هذه الحرب. وبالفعل فإنه باندحار الصفرية تخلص من احد خصميه. فسارع على الفور بسفنه إلى ساحل عمان حيث كان الأباضيون ينتظرون قدومه[٣٠] ويستفاد مما ورد في المصادر أن خازم طلب من الأباضية الاعتراف بالخلافة العباسية، وعدم الخروج عليها مقابل رحيلة عن عمان. وقد عبر عن ذلك بقوله: إنا كنا على إثر هؤلاء القوم. وقد كفانا الله قتالهم على ايديكم. ولكني اريد ان اخرج من عندك إلى الخليفة واخبره إنك له سامع مطيع[٣١] غير ان الارجح وهو ما اشار اليه الطبري[٣٢] أن غرض الحملة كان القضاء على الحركة الأباضية في عمان. وبنفس الوقت فإن الأباضية نظروا إلى الدولة العباسية على أنها دولة ظالمة لايجوز التعامل معها[٣٣]. وقد ترتب على اقفال باب المفاوضات بين الطرفين مجابهة عسكرية على ضفة الخليج الغربية جرت على جولتين، كانت الغلبة في الاولى للأباضية. وكثر القتل في الجيش العباسي. وكان من بين القتلى مسلم اخوه للقائد العباسي من أمه. ومع ذلك فإن قتلى الأباضية قاربوا على الألف[٣٤]. غير ان الجيش العباسي استخدم في الجولة الثانية اسلوبا جديداً مع الاباضية، وذلك باضرام النار في بوتهم المصنوعة من الخشب، وقد ساعد ذلك على اضطراب عسكر الأباضية، واختلال توازنهم، لانشغالهم في انقاذ ببوتهم واسرهم، فتغير مجرى المعركة لصالح القائد العباسي. ويقدر مجمل عدد قتلى الأباضية في هذه المعارك بعشرة آلاف قتيل[٣٥] وتذكر الرواية الأباضية بأن آخر من قتل في هذه المعركة الجلندي بن مسعود، وهلال بن عطية الخرساني[٣٦].

وبذلك يتضح أن قوات السفاح أنهت إمامة الظهور الاولى سنة ١٣٤هـ غير أن نفوذ العباسيين انحصر في سواحل عمان. ثم مالبث العباسيون ان أمروا هذه القوات بالعودة إلى العراق. أما الدعوة الأباضية فإن ما أصابها من هزيمة لم يفت في عضدها، إذ إتخذت من مناطق عمان الداخلية مراكز لها. واخذت تعزز نشاطها، فالتحم سكان عمان مع هذه الدعوة، واعتنقها معظم الناس.

ويبدو أحيانا للسلطة القائمة أن التفوق العسكري في معركة، أو الارهاب الفكري

الذي يمارس على الناس في مرحلة معينة، يمكن ان ينهى ما ترسخ في اذهانهم من مبادىء وافكار. وفي واقع الحال فإن معركة جلفار رغم شراستها وآثارها السيئة على الأباضية، غير أنها أعطت دعاة هذه الحركة واتباعها في عمان قوة ومنعة وعزماً أكيداً على الاستمرار في تعميق الدعوة في أذهان الناس. وسوف نجد صدى ذلك بعد مرور اربعين سنة في محاولة ناجحة تتمكن فيها الأباضية من اعلان الامامة في عمان ثانية بعزم أكثر صلابة، وبقلوب اكثر ثباتاً على مواجهة التحديات. وكان الاجدى بالدولة العباسية - باعتقادي - أن تدخل مع سكان عمان في حوار قائم على الصدق والثقة المتبادلة، لعل النفوس تخلد إلى الراحة والسكنية بانتزاع نار العداوة والكراهية للحكم القائم منها. كما كان عمر بن عبدالعزيز من قبل قد فتح صفحة جديدة مع المعارضة، قائمة على الحوار والمنطق، فهدأت نزعة التمرد، وخفت حدة المعارضة للدولة.

أما فيما يتعلق باوضاع عمان خلال الفترة القصيرة التي حكمت فيها الأباضية عمان، فإن عمان لم تخل من محاور المعارضة التي تثملت ببني الجلندي الذين عارضوا إمامة الجلندي بن مسعود، ورفضوا بيعته. وقد دفع جعفر بن سعيد الجلنداني وولديه النظر وزائدة ارواحهم ثمناً لذلك. ولم تشفع لهم قرابتهم من الإمام(٣٧). بل عندما ابدى الجلندي حزنه عليهم، استنكر الأباضية عليه ذلك وقالوا: «أعصبية يا جلندي، فقال: لا، ولكن الرحمة»(٣٨). وكادوا ان يعزلوا الجلندي عن الإمامة لهذا السبب. وهذا يؤكد اتجاه الحركة الأباضية بالارتفاع فوق التعصب القبلي، ومحاولتها صهر القبائل في بوتقة الاسلام.

رغم قصر إمامة الجلندي إلا انه قام بتنظيمات محدودة في عمان، منها: تنظيم الشراة من الناحية العسكرية. فقد قسموا إلى مجموعات من ٢٠٠ - ٤٠٠ على كل مجموعة عين قائد من اهل العلم والفقه والحزم. وعلى كل عشرة مؤدب ليعلمهم الدين(٣٩) كما ان الأمام لم يأخذ صدقات البحر «العشر» من السكان، لأن الامامة لم تكن قادرة على حماية التجار في البحر، مكما اولى الجلندي المرأة اهتماماً خاصاً وفرض اللباس الشرعي عليها. ويبدو أنه عين عدداً من الولاة والقضاة على عدد من المدن العمانية(٤٠).

عمان بين الامامة الاولى والثانية

في الفترة الواقعة بين عام ١٣٤هـ، وعام ١٧٧هـ الذي تمكن فيه الاباضيون من إقامة الامامة الثانية التي امتدت اكثر من قرن، نجد أن عمان كانت تتنازعها قوى ثلاث: القوة العباسية التي انحصر نفوذها في السواحل. وقوى الأباضية في الداخل. والقوة الثالثة هي قوة القبائل المتناثرة في عمان. واقوى هذه القبائل آل الجلندي، ويليهم بنو هناءة. وقد تحالف آل الجلندي مع السلطة العباسية في حكم عمان. وحكم عمان محمد بن زائدة، وراشد النظر الجلنديان من خلال تعيين عدد من الولاة والقضاة على مدن عمان وقصباتها[٤١]. غير ان الحركة الأباضية قامت بنشاط كبير في مجال نشر الدعوة بفعالية على يد شبيب بن عطية.

السمة الغالبة على تاريخ عمان في تلك الفترة هي احتدام الصراع بين بعض القبائل الازدية كالذي حدث بين بنى هناءة وبني نافع عام ١٤٥هـ. ثم اقحم بنو الحارث انفسهم في هذا النزاع، وقتلوا رجلاً من بني هناءة. فقام بنوهناءة وقتلوا اربعين رجلاً من بني الحارث[٤٢]. وقد انطبع تاريخ عمان بمثل هذه الصراعات القبلية في فترات لاحقة لم يتمكن معها آل الجلندي المتحالفين مع الدولة العباسية من توطيد الأمن، واقرار الهدوء. وقد ترتب على ذلك بروز حركات معارضة قوية ضد آل الجلندي تمثلت بغسان بن عبدالملك. استثمر فقهاء الأباضية ذلك، فوضعوا ايديهم بايدي غسان، رغم أنه لم يكن محمود السيرة. وخرجوا ذلك من باب «جواز الخروج مع الظالم على من هو اظلم منه»[٤٣] كما قام الأباضيون بتعبئة كل القوى في عمان على اختلاف اهدافها في سبيل تقويض حكم آل الجلندي، وإعلان الامامة الإباضية. ويستدل من هذا ان الحركة بلغت درجة غالية من النضوج السياسي بانتهاجها ديناميكية مرنة في سبيل تحقيق اهدافها. غير اننا يجب ان ندرك ان القوة العظمى لحركة المعارضة كانت تتمثل في الحركة الاباضية نفسها التي حمل لواءها «حملة العلم» من طلاب مدرسة ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة. إذْ جمعوا اتباع الأباضية من كافة عمان بعد مكاتبات ومراسلات[٤٤]. وانضوى الجميع تحت قيادة محمد بن المعلا الكندي، واعلنوا الحرب على راشد بن النظر الجلندي رافعين شعار «لاحكم إلا لله». والتقى الفريقان بالمجازة. وتمكن الأباضيون من الحاق هزيمة ساحقة في هذه الموقعة في شهر رمضان من عام ١٧٧هـ ٧٩٣م بجيش راشد.

وقد ترتب على ذلك زوال سلطة العباسيين وحلفائهم من آل الجلندي في عمان كما اعتبرت نتائج هذه المعركة بداية للدولة الاباضية الثانية. وقد تزامن ذلك مع خلافة الرشيد العباسي.

قيام الامامة الاباضية الثانية

في اعقاب النصر الذي احرزته الأباضية في المجازة، اتخذت منطقة منح مقراً لها. وبادرت الحركة بمراسلة الفقية الاباضي موسى بن ابي جابر الأزكوي المقيم في مدينة أزكي من نواحي ازوى. واستقدموه إلى منح. وأناطوا به السلطة العليا لإعادة ترتيب الأمور، وتنظيم الدولة في عمان. وقد ترأس موسى اجتماعا ضم المشايخ والعلماء وفي مقدمتهم بشير بن المنذر، ومحمد بن المعلا(٤٥) وهما من طلاب مدرسة ابي عبيدة في البصرة. وقد وضع موسى في حسابه الطموحات الشخصية للعديد من الاشخاص في سبيل الوصول إلى رئاسة الامة. وقد استقر رأيه بعد مشاورة علماء الاباضية ان يعين قياديي الدعوة ولاة على الاقسام الادارية المهمة في عمان. مفضلاً المصلحة العامة للدعوة على مصلحته الشخصية. فأناط بمحمد بن المعلى الكندي ولاية صحار وما ولاها، اي منطقة الباطنة. كما ولى محمد بن عبدالله بن ابي عفان نزوى وقرى الجوف(٤٦) وقد عبر احد علماء الاباضية عن رغبة الحركة في أن يتولى موسى الازكوى إمامة الاباضية بنفسه بقوله: «قد كنا رجوناك ياابا علي ان تسير بهذه الدولة فرددتها إلى هؤلاء الذين يخافون على الدولة، فقال موسى.. إنما كان نظري ياابا الحكم للدولة»(٤٧). واعلمه إنما اراد ان يفرقهم لئلا تقع الفتنة.

هناك خلاف بين المؤلاخين حول من تولى إمامة الأباضية الثانية في عمان. فالسالمي يذكر أن موسى بن جابر اراد ان يبايع محمد بن المعلا كإمام شارى لخدماته السابقة للدعوة إلا أنه اعتذر فبويع بدلاً منه محمد عبدالله بن ابي عفان، وعلى الأرجح ان امامته إمامة دفاع وليس إمامة شري حتى تقع الحرب اوزارها، ثم الامر شورى بين المسلمين(٤٨).

واجهت ابن ابي عفان مصاعب كبيرة لاستفحال امر التكتلات والاحلاف والقوى القبلية في عمان. وقد تمكن احد ولاته من اخماد الفتن والاضطرابات في الشرقية واقترف كثيراً من الاعمال الوحشية وتخريب الديار والمزروعات بتوجيه من ابن ابي عفان. فأثار بذلك غضب كبار الدعاة، وفقد تأييد قادة الدعوة فخلع عن الامامة. وقد حمل ذلك بعض علماء الاباضية على الطعن في إمامته. فانتخب من بعده الوارث بن كعب الخروصي ليكون إماماً لعمان.

إماة الوارث بن كعب الخروصي

بويع الوارث كإمام شاري للدعوة. وقد حكم عمان بعدل ونزاهة(٤٩). وساد عمان في عهده الهدوء والاستقرار. وكان موضع مدح علماء الأباضية وعلى رأسهم الأزكوى. وقد خفت في عهده حدة النزعات القبلية. كما اصبحت الكلمة العليا للدعوة الاباضية في شؤون عمان الداخلية.

موقف الدولة العباسية من الامامة

تمكنت الدعوة الاباضية من ترسيخ اقدامها في عمان قبل ان تتمكن السلطة العباسية من نجدة حلفائها آل الجلندي، إذ أن الحملة التي جردها الرشيد لمساندة آل الجلندي المهزومين وصلت عمان متأخرة عام ١٩٣هـ في اواخر عهد الرشيد والارجح ان الذي قاد هذه الحملة بحراً هو عيسى بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس[50]). وكان قوامها الف فارس وخمسة آلاف راجل جلهم من البصرة. وقد ارتكبوا وهم من طريقهم ابشع الاعمال من سلب وانتهاك حرمات. وانعكس هذا السلوك على مواقف اهل عمان فتوحدت كلمتهم، ووقفوا صفاً واحداً وتصدوا للقائد العباسي ومنعوه، من التوغل في عمان، وتغلبوا على جيشه. وتذكر بعض الروايات ان عيسى قتل وصلب[51]). ولكن الأرجح انه اسر، ثم قتل فيما بعد على يد افراد اقتحموا عليه السجن دون علم الامام الخروصي، وعلى غير رغبة منه[52]). وتذكر بعض المصادر[53]) ان هارون الرشيد عزم على انفاذ جيش آخر إلى عمان لأخذ الثأر إلى عيسى بن حعفر، خاصة وانه تربطه بالخليفة وشائج قربى. غير ان وفاة الرشيد في تلك السنة كفت اهل عمان شر هذه الحملة، كما ان الفتنة التي نشبت بين الامين والمأمون شغلت الدولة العباسية عن الامامة في عمان ولم تستطع الدولة العباسية ان تقتحم عمان الا عام ٢٨٠هـ.

وصف عهد الامام وارث بن كعب بأنه من ازهى عهود الامامة الاباضية وقد ورث الائمة الذين جاءوا بعده دولة مستقرة الاركان مكنتهم من الاستمرار في حكم عمان قرابة القرن. توفى الوارث عام ١٩٢هـ بعد حكم دام اثنتي عشرة سنة ونصف. وكانت وفاته غرقاً اثناء ذهابه لانقاذ مساجين داهمتهم المياه في احد اودية نزوى.

توالى على عمان بعد الوارث عدد من الأئمة اجمعت عليهم الدعوة الاباضية، واهل عمان. واستمروا في الحكم إلى ان سقطت الامامة الثانية بيد السلطة العباسية وحلفائها الجدد من اهل عمان عام ٢٨٠هـ. والائمة هم:

- غسان بن عبدالله الفحجي: ١٩٢ ـ ٢٠٨ هـ.
- عبدالملك بن حميد ٢٠٨ ـ ٢٢٦هـ.
- المهنا بن جيفر اليحمدي ٢٢٦ ـ ٢٣٧هـ.
- الصلت بن مالك ٢٣٧ ـ ٢٧٣هـ.
- راشد بن النظر اليحمدي ٢٧٣ ـ ٢٧٧هـ.
- عزان بن تميم الخروصي ٢٧٧ ـ ٢٨٠هـ.

وبما إن فترة حكم هؤلاء الأئمة لم تشهد تدخلاً عباسياً مباشراً في شؤون عمان. فإنني ساكتفي بالاشارة إلى اهم الاحداث والفعاليات في زمنهم، إلى ان مزقت الفرقة اهل عمان، فوقعوا ثانية تحت السيادة العباسية.

تمثل هذه الحقبة قمة الازدهار والاستقرار في عمان، باستثناء بعض النزعات القبلية. وصفت نزوى مقر الامامة في عهد غسان «ببيضة الاسلام»(٥٤). وأما في خلال إمامة عبدالملك، فإن المصادر لا تذكر اية اصطدامات بين الامامة والخلافة العباسية، مما اتاح لعمان ان توطد استقلالها، وتنعم بالهدوء والاستقرار. وكذلك فإن إمامة المهنا تعد امتداداً لعهد القوة السابق. وقد وقف موقفاً صلباً من بعض القبائل المتمردة المتحالفة مع بقايا الحركات الموالية لآل الجلندي، والمناوءة للإمامة. وقد اصبحت عمان في عهده قوة برية وبحرية مرهوبة الجانب. كما شهدت ازدهاراً كبيراً في المجالين الزراعي والتجاري.

وأما الصلت فقد نهج نهج اسلافه من الحق والعدل. غير أن البلاد تعرضت في زمنه إلى سيول جارفة عام ٢٥٠هـ، ذهب ضحيتها الكثير من الانفس والاموال(٥٥). كما فتحت في عهده جزيرة سقطري. ويبدو ان الدعوة الأباضية قد دخلت هذه الجزيرة بوقت ابكر من فتحها بكثير.

والأمر الجدير بالذكر ان الأمور انقلبت رأساً على عقب في آخر عهد الصلتإذ توالت الخصومات القبلية، والحروب الاهلية، وبرزت حركات انشقاق أفضت إلى عزل الامام الصلت، وقادت في النهاية إلى سقوط الامامة عام ٢٨٠هـ(٥٦).

ويبدو مّن خلال فحص الاوضاع الداخلية في عمان، أن التمزق الذي اصابها ليس مرده إلى عزل الإمام الصلت عن الإمامة بسبب ضعفه وطول مدة إمامته فحسب، وإنما إلى تصدع قيادة الدعوة الأباضية نفسها، وبروز الطموحات الشخصية لدى بعض الدعاة ايضا. ويستشف مما ورد في بعض المصادر المعاصرة للاحداث كابي المؤثر(٥٧)، ان مسؤولية التصدع الذي اصاب الإمامة تقع على عاتق الأجيال الجديدة المعاصرة للدعوة، التي كانت أقل علماً وفقهاً، وربما يظهرون حب الدين، ويبطنون حب الدنيا، مقارنة مع الاجيال الاولى التي غرست بذور الدعوة.

كما ينبغي ان لا ننسى أيضا دور السلطة الدينية العليا (المرجع الديني) في تقرير مجرى الاحداث، وعزل الأئمة، وتنصيب غيرهم. إن مسلك كبير علماء الأباضية، موسى بن ابي جابر الازكوي في بداية الإمامة الثانية، يختلف كثيراً عن مسلك موسى بن موسى الازكوى في ايام الصلت حين اقحم نفسه بالاحداث. ولعب دوراً بارزاً في عزل الإمام الصلت. وقد اسفر هذا المسلك عن نتائج وخيمة فتحت باب الحرب الأهلية، وعززت الصراع بين العصبيات القبلية من يمنية ونزادية (مضرية) في عمان(٥٨).

الصراع بين القبائل العمانية

عقدت الإمامة بعد عزل الصلب لراشد بن النظر اليحمدي. استهل عهده باحتدام الصراع بين القبائل العمانية، كما واجه معارضة قوية لإمامته من قبل الجماعات التي لا تزال متمسكة بامامة الصلت بن مالك. وبات واضحاً أن التمحور اصبح هذه المرة حول

القبائل، وليس حول أئمة الدعوة الأباضية وعلمائها . بعبارة ادق، انتقل الثقل السياسي من الأئمة إلى رؤساء القبائل .

وقد ترتب على ذلك استقطاب «شاذان» ابن الامام الصلت المعزول والذي لا زال على قيد الحياة، لمجموعة من القبائل . وبذلك اصبح في عمان محوران رئيسان: محور الإمام راشد المنتخب، ومحور المعارضة وجله من انصار الإمام المعزول . والتحمت القوتان في معركة الروضة، انحاز خلالها كبير علماء الإباضية موسى الازكوى إلى المعارضة بقيادة شاذان بن الصلت . وقد اسفرت هذه الموقعة عن هزيمة قوات الامام راشد . والقى عليه القبض وخلع ثم سجن . وعقدت الإمامة بعده إلى عزان بن تميم الخروصي . ويعد تنصيبه انتصاراً لليمانية على المضرية . وغير ان الخلاف ما لبث ان دب بين عزان وكبير العلماء موسى قتل على اثره موسى . فأستشاطت المضرية (النزارية) غضباً . وهذا يؤكد ما قيل عن الامامة الأباضية بانها اصبحت لعباً ولهواً . وأنها بلغت درجة كبيرة من المذلة والمهانة(٥٩) أمام طموحات رؤساء القبائل .

وقعة القاع ٢٧٨هـ وسقوط الامامة الاباضية

دارت رحى هذه المعركة الفاصلة، بين التحالف المضري برئاسة الحواري بن عبدالله الحداني وبين قوات عزان وجلها من اليمانية . ودارت الدائرة على المضرية وقتل الحواري وابنه . وتذكر المصادر أن النزارية لم تر هزيمة اقبح من هذه الهزيمة(٦٠) غير ان نتائج المعركة تمخضت عن ان الكلمة العليا اصبحت لرؤساء القبائل وليس للإمامة . وقد ترتب على هزيمة النزارية النكراء أن لاذ عدد من افرادها بالفرار، واستجاروا بوالي البحرين العباسي محمد بن بور ويرجح ان هذا الوالي كان مضرياً، استجاب على الفور لنداء المضرية، بعد أن استأذن الخليفة العباسي المعتضد . وتحرك محمد بن بور على رأس جيش كبير واجتاح عمان بمساندة النزاية، فهزم الإمام عزان، وتخلى الناس عنه، واصابهم الذعر، وهاموا على وجوههم هاربين باموالهم وذراريهم، داخل عمان وخارجها(٦١) . ورغم الصعوبات البالغة التي واجهها محمد بن بور باحتلال عمان، إلا انه تمكن في النهاية من السيطرة عليها . وبذل اثناء ذلك الأهيف الهنائي محاولات لاستنفاذ الموقف، وكاد ان ينتصر، إلا ان الدائرة مالبث ان دارت عليه . اعمل محمد بن بور السيف في رقاب الناس . وخرب المزارع، واحرق الكتب الأباضية، وقتل الإمام عزان، وكثير من اتباع الأباضية وارسل رؤسهم إلى بغداد . وقبل ان يغادر محمد بن بور عمان ولي عليها احمد بن هلال . من الموالين للحكم العباسي . وبذلك اسدل الستار على الامامة الأباضية الثانية في عمان بعد حكم دام اكثر من قرن .

ومما هو جدير بالذكر، انه بالرغم من ان الأمامة زالت كقوة سياسية إلا أن سيطرة العباسيين لم تشمل عمان بكاملها، بل انحصرت في المناطق الساحلية وشمال عمان .

وقد ظلت القبائل اليمانية في اواسط عمان تدين بالولاء للأباضية، ولا تخلص في تعاونها مع ولاة الدولة العباسية، حتى تمكنت الإمامة من استعادة نفوذها في مطلع القرن الخامس الهجري.

الخلاصة

إن المتتبع لمجرى الاحداث في عمان، يستطيع ان يستنتج ان الامامة الأباضية، استطاعت في مرحلة النشأة في البصرة، ان تتغلغل في عمان. وقد نجحت هناك إلى حد كبير في ان تكون محور الاستقطاب لأهل عمان لتعبر عن تراثهم العميق، وشخصيتهم المتميزة، وملهم للاستقلال، رغم ان سلطتها لم تشمل كل عمان. وقد تبلور ذلك في إعلان الإمامة الأباضية الاولى في عمان عام ١٣٢هـ. إلا أن الدولة العباسية لم تسمح لها ان تلتقط انفاسها. فجردت لها قوة عسكرية اسقطت الامامة الاولى. غير ان حملة العلم ودعاة الاباضية ظلوا يمارسون نشاطهم في المناطق الداخلية من عمان. وظل اهل عمان اوفياء للدعوة الأباضية. وقد أثمر هذا الجهد المتبادل عن اعلان الإمامة الأباضية الثانية بالانتصار على جيوش الدولة العباسية عام ١٧٧هـ بعد مرور اكثر من اربعين سنة على الامامة الاولى. وفي ذروة العصر العباسي الاول الذي يمثله الرشيد.
وقد عاشت عمان في ظل الامامة الثانية حالة من الاستقرار، والازدهار الاقتصادي. وصدوا هجمات القراصنة على السواحل، كما افشلوا محاولات الدولة العباسية إعادة سيطرتها على عمان. غير ان العصبيات القبلية، وتعدد مراكز القوى، وفقدان الامامة لزمام المبادرة، جعل البلاد تعيش حالة مستمرة من الاضطراب والفوضى. وقد تمثل ذلك في عدد من المعارك بين النزارية واليمانية اشهرها معركة «القاع» عام ٢٧٨هـ، والتي ترتب عليها انقسام اهل عمان على انفسهم، وقد اسفر ذلك عن ارتماء احد الاطراف العمانية المنهزمة في القاع في احضان الدولة العباسين. وقد سهل ذلك على السلطة العباسية أن تعيد سيطرتها على عمان. وأن تزيل الامامة الثانية. وتضع على عمان حكاماً موالين لها.

ولعل العامل الأكثر اهمية في سرعة انهيار الامامة الأباضية ككيان سياسي، يعود إلى الانشقاق الذي وقع بين صفوف الاباضية نفسها، مما سهل على اعداء الحركة الاباضية الاطباق عليها من داخل عمان ومن خارجها. وتجيب بعض النصوص في المصادر التي تؤرخ للحركة الاباضية على اسباب انشقاق اتباع الاباضية على انفسهم، بأنها تتمثل بالضعف الذي دب في تنظيم الحركة الأباضية في مراحل لاحقة مقارنة مع مرحلة النشأة والتكوين، حيث نشأ جيل جديد اقل ضبطاً، واضعف حماساً من جيل الرواد العقائديين الذين حملوا عبء الدعوة السرية، ثم بناء الدولة الاباضية وتأسيسها.

وقد عبر عن ذلك السالمي[٢]) بقوله : «إن هذه الدولة قد كان لها رجال لهم حلوم راجحة عالمة وقلوب سليمة ، كانوا على أمر واحد ، يطأ الآخر أثر الاول . . . فلم يزالوا على ذلك حتى مضوا فأنقرضوا رحمة الله عليهم ثم خلفنا نحن وانتم من بعدهم . . . إلى ان ذهب اهل الفضل واهل العدل ونشأ اليوم شباب وناس ظهرت رغبتهم في الدنيا ، وطلبوا الرئاسة فيها » .

وقد أدت ظاهرة ضعف التنظيم ، وصدق التمثل بالاوائل إلى اتساع الهوة بين الامام الاباضي وفقهاء الاباضية وبين الاتباع . وقد دلت بعض الاحداث على ان ولاءات وإنتماءات بعض اتباع الاباضية القبلية ، كانت اقوى من الشعارات التي رفعوها . وقد انعكس هذا على بروز التكتلات القبلية على حساب سلطة الائمة . ولذلك لاعجب ولا إستغراب إن رأينا الرعية تخذل بعض الائمة وتتخلى عنهم . وقد اسفر ذلك عن حرب اهلية قبلية أكلت الاخضر واليابس ، فمزقت الصفوف ، وعمقت الإحن والاحقاد فسقطت الإمامة الثانية . وكان الأجدى ان تتوحد الصفوف ، وأن تطرح النزعات القبلية جانباً . وان يعتلي دعاة الاباضية على خلافاتهم وطموحاتهم الشخصية ، ليضع هؤلاء ايديهم بايدي اولئك ، لتظل لعمان مكانتها ووحدتها ، وقوة عقيدتها . خاصة وأن العالم الاسلامي كان يعيش في تلك الفترة في ظل التسلط التركي ثم البويهي ، وضعف الخلافة العباسية مرحلة من الفراغ السياسي ، والتمزق المذهبي . وكانت الأمة الاسلامية بامس الحاجة إلى من يقيلها من عثرتها .

هـوامش

(١) الطبري: التاريخ: ٣/٣١٥.
(٢) عبد الامير دكسن: من تاريخ عمان في العصر الاموي. مقالة في محلة الخليج العربي / البصرة العدد الاول ١٩٧٣.
(٣) كتاب المؤلف المجهول: تحقيق د. سعيد عاشور ص ٤٧.
(٤) البلاذري: الانساب: ١/١٢٥. ابن الاثير: الكامل ٤/٢٠٣.
(٥) الازكوى ص ٣٧٥.
(٦) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: ٤/١٦٧.
(٧) الازكوي: كشف الغمة الجامع لاخبار الامة. ورقة ٣٢٦ ب.
(٨) المصدر نفسه: ص ٣٢٧ أ. وانظر مخطوطة تاريخ اهل عمان: ص ٥٠.
(٩) انظر الازكوي: ص ٣٧٥.
(١٠) الدرجيني: ورقة ٩٨. وانظر عوض خليفات نشأة الحركة الاباضية ص ١٢٧.
(١١) الشماخي: سير ص ٧٧. وانظر الدرجيني: ورقة ٨٩.
(١٢) الخليج العربي في العصور الاسلامية: ص ١٢٧.
(١٣) العوتبي: ورقة ١٠٧.
(١٤) عوض خليفات: نشأة الحركة الاباضية ص ١٢٩
(١٥) السالمي: التحفة: ١/٨٨ ـ الازكوي : ٣٢٨.
(١٦) المسعودي: مروج الذهب ٦/٦٧ ـ خليفة بن خياط: تاريخ ٢/٥٩٦.
(١٧) البلاذري: انساب الاشراف: ٢/٣٧٥.
(١٨) المصدر نفسه: ٢/٣٨١.
(١٩) خليفة بن خياط: كتاب الطبقات: ص ٢١٠ ـ الأزكوي: كشف الغمة: ورقة ٣٢٣أ.
(٢٠) العوبتي: ورقة ٢١ ب.
(٢١) المصدر نفسه: عوض خليفات: نشأة الحركة الأباضية: ص ١٢٩.
(٢٢) زلوم: عبد القادر: عمان والامارات السبع. دراسة جغرافية وانسانية: ص ٣٤ وبعدها.
(٢٣) السالمي: تحفة: ١/٩٠.
(٢٤) الأزكوي: كشف الامة الجامع لاخبار الأئمة. مخطوطة: ورقة ١٣٣أ.
(٢٥) الشماخي: شرح مقدمة التوحيد: ورقة ١٦أ ـ وانظر فاروق عمر: ٨٦.
(٢٦) فاروق عمر: العباسيون الاوائل: ص ١٣٢.
(٢٧) الطبري: تاريخ الرسل: ٧/٤٦٢.
(٢٨) كشف الغمة: ورقة ٣٢٨ ب. وانظر: تاريخ اهل عمان: المؤلف المجهول.
(٢٩) ياقوت: معجم البلدان: ٢/١٠٤.

(٣٠) الطبري: ٧/٤٦٣.
(٣١) كشف الغمة: ورقة ٣٢٩أ - الطبري: ٧/٤٦٢.
(٣٢) السالمي: تحفة: ١/١٠٣.
(٣٣) كشف الغمة: ٣٢٩أ.
(٣٤) الطبري: ٧/٤٦٣.
(٣٥) انظر: ابن الاثير: الكامل: ٤/٣٤٣ - مصباح الظلام: ورقة ٣١ ب.
(٣٦) كشف الغمة: ورقة ٣٢٩أ - السالمي: تحفة ١/٩٣.
(٣٧) مهدي هاشم: الحركة الاباضية: ص ١٩٥ ومابعدها.
(٣٨) السالمي: تحفة: ١/٩١.
(٣٩) المصدر نفسه: ١/٩٠.
(٤٠) العوتبي: انساب: ورقة ١٦٩أ.
(٤١) الازكوي: كشف الغمة: ورقة ٣٢٩ ب - السالمي: تحفة ١/١٠٧.
(٤٢) السالمي: تحفة ١/١٠٨.
(٤٣) المصدر نفسه: ١/١٠٩.
(٤٤) السالمي: تحفة: ١/١١٠.
(٤٥) كشف الغمة: ورقة ٣٢٩ ب.
(٤٦) السالمي: تحفة: ١/١١٠.
(٤٧) البسيوي: الحجة على من ابطل السؤال: ورقة ٢٢.
(٤٨) وندل فيلبس: تاريخ عمان: ص ٢٢ ترجمة محمد امين عبدالله.
(٤٩) عبدالجبار جومراد: هارون الرشيد ٢/٥٥٦.
(٥٠) البلاذري: فتوح: ص ٨٨.
(٥١) السالمي: تحفة: ١/١١٩.
(٥٢) المؤلف المجهول: تاريخ اهل عمان. تحقيق سعيد عاشور.
(٥٣)، (٥٤) السالمي: التحفة: ١/١٢٥ - ٢/١٦٤.
(٥٥) المسعودي: مروج الذهب: ٤/١٥٦.
(٥٦) ابن المؤثر: كتاب الاحداث والصفات: ورقة ٣. فاروق عمر: ص ٣٠٤.
(٥٧) مهدي هاشم: الحركة الاباحية: ص ٢١٧ - العوتبي: الانساب: ١٦٢ ب.
(٥٨) كشف الغمة: ٣٣٢ ب.
(٥٩) السالمي: تحفة: ١/٢٥٣. العوتبي: ١٩٢ ب.
(٦٠) الازكوي: ورقة ٣٣٥ ب.
(٦١) المصدر نفسه: ورقة ٣٣٥ ب.
(٦٢) السالمي: تحفة: ٢/٢٠٤.

مصادر ومراجع البحث

١ ـ ابن الاثير: ٦٣٠هـ عز الدين على بن محمد
الكامل في التاريخ: لندن ١٩٦٩م.
٢ ـ الازكوي: سرحان بن سعيد (توفى في القرن الحادى عشر)
كشف الغمة الجامع لاخبار الائمة مخطوطة: المتحف البريطاني (8076)
٣ ـ البرادي: ابو الفضل القاسم بن ابراهيم:
رسالة في تقييد كتب اصحابنا مخطوطة دار الكتب المصرية (١٧٩١ ٣ب).
٤ ـ الجواهر المنتقاه القاهرة ١٨٨٤م.
٥ ـ البسيوي: ابو الحسن علي بن محمد العماني
الحجة على من ابطل السؤال في الحديث الواقع بعمان ـ الدمام.
٦ ـ البلاذري: ابو الحسن البلاذري
انساب الاشراف.
٧ ـ جومرد: عبد الجبار
هارون الرشيد.
٨ ـ ابن حزم: ٤٥٦ هـ.
انساب العرب: القاهرة ١٩٦٢.
٩ ـ حسن ابراهيم حسن:
تاريخ الاسلام السياسي: القاهرة ١٩٤٥.
١٠ ـ خليفة بن خياط: ٢٤٠ هـ.
كتاب الطبقات : بغداد ١٩٦٧.
١١ ـ الدرجيني: ابو العباس احمد (توفي في القرن السابع الهجري)
طبقات الاباضية: مخطوطة / دار الكتب المصرية).
١٢ ـ زلوم: عبدالقادر
عمان والامارات السبع ـ بيروت ١٩٦٣.
١٣ ـ السالمي: عبدالله بن حميد
تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان: الكويت: ١٩٧٤.
١٤ ـ السالمي: محمد عبدالله
عمان تاريخ يتكلم: دمشق ١٩٦٣.

١٥ ـ الشماخي: (٩٢٨)هـ
شرح مقدمة التوحيد ـ كتاب السير: القاهرة ١٨٨٢م.
١٦ ـ كتاب السير: القاهرة ١٨٨٢م.
١٧ ـ الطبري: (٣١٠) هـ محمد بن جرير
تاريخ الرسل والملوك: ليدن ١٩٨١م.
١٨ ـ عاشور: سعيد
تحقيق كتاب المؤلف المجهول: سلطنة عمان / وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٠.
١٩ ـ عبد الامير دكسن:
من تاريخ عمان في العصر الاموي
مقالة في مجلة الخليج العربي، البصرة: العدد الاول ١٩٧٣م.
٢٠ ـ ابن عساكر (٥٧١هـ) علي بن حسن
تاريخ دمشق. مخطوطة المكتبة الظاهرية. دمشق ١٣٥١هـ.
٢١ ـ عمر: فاروق:
العباسيون الاوائل: دمشق ١٩٧١.
٢٢ ـ الخليج العربي في العصور الاسلامية: الامارات العربية للتوزيع دبي ١٩٨٣م.
٢٣ ـ بيليوغرافيا في تاريخ عمان: مجلة المورد ١٩٧٤/٤٠م.
٢٤ ـ عوامل سقوط الامامة الاباضية الثانية مجلة كلية الآداب. بغداد ١٩٧٧م.
٢٥ ـ عوتبي: سلمة بن مسلم الصحاري:
انساب العرب. دار الكتب المصرية (٣٤٦١).
٢٦ ـ عوض خليفات:
نشأة الحركة الاباضية عمان ـ الاردن ـ مطابع دار الشعب ١٩٧٨م.
٢٧ ـ فليبس: وندل
تاريخ عمان. ترجمة محمد امين عبدالله.
٢٨ ـ قلعجي: قدري
الخليج العربي دار الكتاب العربي ١٩٦٥م.
٢٩ ـ كاشف: سيدة اسماعيل
عمان في فجر الاسلام عمان ١٩٧٩م.
٣٠ ـ المسعودي: (٣٤٥هـ)
مروج الذهب ومعادن الجوهر. باريس ١٩٨٣م.
٣١ ـ ابن المؤثر: الصلت بن خميس
كتاب الاحداث والصفات. مكتبة الامام غالب بالدمام.
٣٢ ـ هاشم: مهدي
الحركة الاباضية في المشرق العربي. جامعة بغداد ١٩٧٧م.

٣٣ ـ ياقوي الحموي
معجم البلدان . ليبزك ١٨٦٦م .
Mileo S. B.
34 - «The Countries and Tribes of Persion Gulf»
London. 1966
Watt. W. M.
35 - Islamic Political thought.
«Islamic Surveys No. 6»
Edinburgh. 1968.
36 - Kharijite thought in the Umayyad period
D. L.Vol 36 (1961. pp. 215-230).